The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
E-ISSN: 2959-4820
Volume 3, Issue 1, January - March 2025
Page No: 126-137
Website: https://najsp.com/index.php/home/index
SJIFactor 2024: 5.49 معامل التأثير العربي (AIF) 2024: 0.71 ISI 2024: 0.696

مبادئ التربية الوطنية في القرآن الكريم وتطبيقاتها العملية

حسين علي عبيد عون [1]، إسماعيل عاشور عبد الله بن صليل [2*]، سالم مفتاح إبراهيم بعوه [3]
[1،2] كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا
[3] كلية العلوم التقنية، مصراتة، ليبيا

Principles of National Education in the Holy Qur'an and Their Practical Applications

Hussein Ali Obaid Aoun[1], Esmail Ashur Bin Issleel[2*], Salem Miftah Ibrahim Ba'wa[3]
[1,2]Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Alasmaria Islamic University, Zliten, Libya
[3]College of Technical Sciences, Misrata, Libya

*Corresponding author abuwael0602@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2025-03-22 تاريخ القبول: 2025-03-10 تاريخ الاستلام: 2025-01-17

الملخص

خلق الله تعالى الإنسان، وجعله خليفة في هذه الأرض لعمارتها، وإقامة شرع الله فيها، ومستوطنا يستقر على ظهرها، وسخر له فيها من النعم ما لا تعد ولا تحصى؛ وأرشده إلى طريق الهدى والصلاح، وحذره من الضلال والفساد، وجعل محبة الأوطان من الإيمان؛ لهذا فإن هذه الورقة جاءت لتناقش مفهوم التربية الوطنية من المنظور الإسلامي، وعرض القرآن الكريم لها، والتدليل على مشروعية حب الوطن، والتعرف على أهم المبادئ التي تقوم عليها التربية الوطنية، والتوصل إلى بعض التطبيقات العملية لها، وذلك من خلال تتبع كل الآيات القرآنية ذات العلاقة بموضوع الورقة، ودراستها واستنباط المبادئ منها، حتى نصل إلى الأهداف المنشودة، والتوصيات المرجوة.

الكلمات المفتاحية: المبادئ، التربية، الوطنية، القرآن الكريم، التطبيقات العملية.

Abstract

God Almighty created man and made him a vicegerent on this earth to build and develop it, to uphold God's law within it, and to settle upon its surface. He bestowed upon him countless blessings and guided him to the path of righteousness and reform, while warning him against misguidance and corruption. God also made love of the homeland part of faith. Therefore, this paper comes to discuss the concept of national education from an Islamic perspective, its presentation in the Holy Qur'an, evidence for the legitimacy of loving one's homeland, and identification of the key principles upon which national education is based. It also aims to derive some practical applications through examining all Quranic verses related to the topic, studying them, and extracting the principles from them, so as to reach the desired objectives and expected recommendations.

Keywords: Principles, Education, National, Holy Qur'an, Practical Applications.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الأرض مهادا، وأنزل على عبده الكتاب تبيانا، وصلاة وسلاما على رسوله المصطفى، وآله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد.

يعد إعداد المواطن الصالح من أهم الأهداف التربوية التي تسعى الأمم إلى تحقيقها عن طريق المؤسسات التربوية فيما تقدمه من مناهج تعليمية وتربوية مختلفة وفق نظرية تربوية تنبثق من فلسفة خاصة تأسست على مبادئ تؤمن بها الأمة، تمثل وتجسد رؤيتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا يعني أن لكل أمة خصوصيتها التي تميزها عن غيرها من الأمم، تحتم عليها أن تكون تربيتها الوطنية قائمة على أصول تربوية أصيلة تجسد القيم والمثل العليا التي تؤمن بها، ونحن أمة الإسلام لسنا بمنأى عن هذه الأمم، في الوقت الذي طغى فيه مصطلح الوطنية وفق مفهوم قد يخالف مبادئنا الإسلامية، وأصبح للتربية الوطنية مناهج مستوردة تدرس في مراحل التعليم المختلفة في بلداننا، وهو أمر في غاية الخطورة على الناشئة، مما يدعو إلى التأصيل للمبادئ التي تقوم عليها هذه التربية وبيان تطبيقاتها العملية، لذلك كان عنوان هذه الورقة : (مبادئ التربية الوطنية في القرآن الكريم وتطبيقاتها العملية).

أهمية البحث

وتتمثل أهمية هذه الورقة في النقاط التالية:

- أنها تعد دراسة تأصيلية تتناول مصطلحا وقع فيه الإفراط من مؤيد له دون أي تقيد بالضوابط الشرعية، ووقع التفريط من مخالف له جملة وتفصيلا.
- كونها ترسم مبدأ الوسطية في نظرتها لهذا المفهوم، كل ذلك ليستفيد القائمون على المناهج الدراسية والمربون منها في تأسيسهم لمناهج التربية الوطنية.
- أنها تأصل لمبادئ التربية الوطنية وفق نظرية تربوية إسلامية مستمدة من القرآن الكريم والسنة والنبوية، وبيان تطبيقاتها العملية في مجالات الحياة المختلفة.
- أنها تقف ضد الغزو الثقافي والتربوي فيما يسوق لنا الغرب من مفاهيم ومناهج تحقق أهدافه التربوية، وتسعى إلى تغريب الأمة ومسخ هويتها، وتفكيكها، وجعل كل دولة منها تسعى إلى تربية وطنية خاصة بها بمفهوم ضيق منحصر بحدود المكان التي يقطن فيه أفرادها.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في عرض مفهوم التربية الوطنية في القرآن الكريم، ومشروعية حب الوطن، والمبادئ التي تقوم عليها التربية الوطنية، وتعامل الناس بها وتطبيقها في الواقع المعاش.

أسئلة البحث:

من خلال ما تم عرضه من مشكلة البحث فإن تساؤلات البحث تتمثل في التالي:

- ما المراد من مفهوم التربية الوطنية في القرآن الكريم؟
- ما الدليل على مشروعية حب الوطن في الإسلام؟
- ما هي أهم المبادئ التي تقوم عليها التربية الوطنية في القرآن الكريم؟
- كيف تناول الإسلام التربية الوطنية من الناحية التطبيقية؟

أهداف البحث

تهدف هذه الورقة إلى التالي:

- بيان المراد من مفهوم التربية الوطنية في القرآن الكريم.
- عرض الأدلة على مشروعية حب الوطن في الإسلام.
- التوصل إلى أهم المبادئ التي تقوم عليها التربية الوطنية في القرآن الكريم.
- معرفة بعض التطبيقات العملية للتربية الوطنية في الإسلام.

منهج البحث

أما عن المنهج العلمي في هذه الورقة فهو المنهج الاستقرائي الاستنباطي، حيث سيتم استقراء كل الآيات ذات العلاقة ودراستها واستنباط المبادئ منها، ليتسنى لنا بيان تطبيقاتها العملية، كما سيتقيد المنهج بما تقتضيه طبيعة التفسير الموضوعي في نوعه الثاني المتمثل في الوحدة الموضوعية للآيات القرآنية من ضوابط منهجية عند تفسير هذه الآيات وعرض موضوعاتها.

هيكل البحث

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يتم تناوله وفق المطالب التالية:

المطلب الأول: التعريف بالتربية الوطنية والتأصيل لمفهومها.

المطلب الثاني: مشروعية حب الوطن في الإسلام
المطلب الثالث: المبادئ التربوية التي تقوم عليها الوطنية في القرآن الكريم
المطلب الرابع: التطبيقات العملية لمبادئ التربية الوطنية
المطلب الأول: التعريف بالتربية الوطنية والتأصيل لمفهومها.
التربية الوطنية مركب وصفي يتكون من لفظتين هما: التربية والوطنية، وعلى هذا فإنه ولكي نعرف التربية الوطنية علينا أن نبين المقصود من مفهوم التربية أولا ثم مفهوم الوطنية ثانيا.
أولا: تعريف التربية:
التربية لغة تعني النمو والزيادة: (ربى) فالراء والباء وآخره الحرف المعتل، وكذلك المهموز منه (يعني ربأ)، فيه دلالة على أصل واحد، وهو الزيادة والنماء [1]، ومن هذا قوله تعالى:﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[2].
التربية اصطلاحا: يعرفها الكفوي في كتابه الكليات على أنها "تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا"[3]،ويؤيد هذا التعريف ما يدل عليه لفظ التربية في القرآن الكريم حيث يجد المتتبع للفظها في القرآن أن مفهومها يدور حول معنى واحد، وهو الوصول بالشيء إلى تمامه وكماله الذي خلق مستعدا له في أصله، شريطة أن يكون هذا الوصول على التدريج، وهذا واضح من تعريفات المفسرين لها، ومن ذلك تعريف الألوسي حيث يعرفها على أنها "تبليغ الشيء إلى كماله بحسب استعداده الأزلي شيئا فشيئا"[4]، ويعرفها الأصفهاني على أنها مرور الشيء من حال إلى حال إلى أن يصل إلى حد تمامه[5]، وبالتأمل في هذه التعريفات نجد أنها ارتكزت على ثلاثة قيود وهي: الوصول بالشيء إلى درجة من الكمال الذي خُلق لها، ضرورة مراعاة استعداد الشيء لهذا الكمال، ضرورة مراعاة التدرج في الوصول بهذا الشيء إلى هذا الكمال.
ثانيا تعريف الوطنية:
الوطنية لغة: الوطنية مصدر صناعي [6]من الوطن، والوطن في اللغة من وطن بمعنى أقام، فالوطن هو المكان أو المنزل الذي يقيم به الإنسان، فهو موطنه ومحله الذي يقيم فيه ويسكنه [7]، وجمع الوطن أوطان.
إن كلمة "وطن" وإن لم ترد في القرآن الكريم بهذه الصيغة إلا أن مدلولها أو مفهومها الأساسي ورد في صيغة (الديار) و(الدار) في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [8]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [9].
كما أن مفهوم الوطن ورد في صيغة الأرض المخصوصة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [10]، جاء في بيان المعنى المراد بالأرض في هذه الآية عدة وجوه من التفسير يفيد كلها معنى الوطن ومنها: أنها المدينة وأن من أراد إخراجه منها هم اليهود، ومنها أنها مكة ومن أراد إخراجه هم قريش قبل الهجرة، ومنها أنها جزيرة العرب لأنهم أخرجوه من مكة [11].
الوطنية اصطلاحا:
إن خلق الإنسان من الأرض ولَّد في نفس الإنسان شعورا يشده إليها وهو شعور الانتماء، وهو نوع آخر من الجاذبية الأرضية، إنها ليست الجاذبية المادية التي استقرت بها كل الأشياء المخلوقة من الأرض

---

1 - ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (2 / 483).
2 سورة الحج: الآية 5.
3 - الكليات، للكفوي، ص 314، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، (1/ 54).
4 - روح المعاني، للألوسي، (1/ 80).
5 - ينظر المفردات، للراغب الأصفهاني، (1/ 184).
6 - المصدر الصناعي هو: اسم لحقته ياء النسب تليها تاء التأنيث المربوطة للدلالة على معنى المصدر، مثل: علميّة، إنسانيّة، همجيّة، حريّة، انتهازيّة، قوميّة، وطنيّة، ديمقراطيّة مدنيّة، اشتراكيّة، وحشيّة، شيوعيّة، جاهليّة، اتكاليّة، وغيرها، والغرض من صياغة المصدر الصناعي من الأسماء هو الدلالة على الاتصاف بالخصائص والصفات الموجودة في هذه الأسماء.
7 - لسان العرب، لابن منظور، (مادة وطن) (451/13).
8- سورة البقرة: الآية 84.
9- سورة الحشر: الآية 9.
10- سورة الإسراء: الآية 76.
11- ينظر تفسير النكت والعيون، للماوردي، (261/3).

عليها، بل هي جاذبية معنوية نشعر بها ولا ندرك كنهها، إنها فطرة إنسانية لها معناها الشامل وصورها المتعددة، وهو شعور متبادل حقيقته فعل وانفعال، فجذب الأرض هو الفعل، وانجذابنا هو الانفعال، نحسه من طرفنا لأنه فينا، أما فعل الجذب فمن الصعب علينا أن ندرك سره، فما لنا إلا أن نفسره بأنه تلك العناصر التي خلقنا منها وتكونت بها نفوسنا .

وعلى هذا فإن هناك فرقا بينا للوطنية والمواطنة يتمثل في أن المواطنة هي مجرد الانتماء إلى المكان الذي ينتسب إليه الإنسان بحكم النشأة، أي بحكم أنه وُلِد فيه، أو بحكم الإقامة والسكنى، وأحيانا بحكم القانون فيما يعرف بالجنسية، أما الوطنية فمعناها أعمق وأدق، فهي ليست مجرد انتماء بل هي التعبير عن الشعور بهذا الانتماء وتجسيد حب الوطن.

إن تحقيق المواطنة لا يكتفى فيه بالنشأة وحسب، إذ النشأة ولدت هذا الشعور فقط، ودور التربية هو العناية بهذا الشعور باعتباره أصلا نفسيا للمواطنة، والمحافظة عليه وتنميته والرقي به.

في ضوء هذا البيان لمفهوم الوطنية على أنه يعني حب الوطن والانتماء الوجداني إلى الأرض التي ولد فيها الإنسان وترعرع عليها، يمكننا أن نفسر مفهوم الوطنية، لا على اعتبار أنها مفهوم اجتماعي أو مفهوم سياسي، بل هو أبعد من ذلك، إنه المفهوم النفسي الذي تبنى عليه كل المفهومات الأخرى، والذي يعني الشعور بالحب تجاه الأرض التي أنشئ الإنسان منها، والبقعة التي ترعرع فيها، هذا المفهوم النفسي لمعنى المواطنة.

المطلب الثاني: مشروعية حب الوطن في الإسلام

إن محبة الأوطان من الأمور التي فطر الله تعالى عليها الناس جميعا، وهو على ذلك من الأمور التي احترمها الإسلام، فحب الوطن إذن لا يتنافى مع دين الإسلام لأنه دين الفطرة، يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[12]، يقول ابن عطية رحمه الله في بيان معنى الفطرة أن المعتمد من أقوال المفسرين لهذه اللفظة أنها تعني الخلقة وكذلك الهيئة التي تكون في نفس الطفل، والتي تعتبر معدة لكي يميز بها مصنوعات الله سبحانه وترشده إلى ربه وتعرفه شرائعه حتى يؤمن به[13].

إن كون حب الوطن أمرا مشروعا لكونه من الفطرة دلَّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومن ذلك:

- مراعاة الشريعة لمشقة الابتعاد عن الأوطان وأخذ ذلك في الاعتبار، فقد بيّن القرآن الكريم أن استيطان أرض بعينها والاستقرار عليها له أثر كبير في اطمئنان الإنسان، وهذا البعد راعته الشريعة فيما يتعلق بالسفر من أحكام، من قصر للصلاة ومن إفطار، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [14]، "والاطمئنان مراد به القفول من الغزو، لأن في الرجوع إلى الأوطان سكونا من قلاقل السفر واضطراب البدن، فإطلاق الاطمئنان عليه يشبه أن يكون حقيقة، وليس المراد الاطمئنان الذي هو عدم الخوف لعدم مناسبته هنا"[15].

ولمشقة البعد عن الأوطان وصف الرسول صلى الله عليه وسلم السفر بأنه قطعة من عذاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ وَجْهِهِ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ»[16]، وفي هذا دليل على أن الإنسان المسافر يجد في سفره المشقة والتعب مهما كانت سبل الراحة متوفرة كما هو الحال في وقتنا الحاضر، وفيه دليل على التعجل بالرجوع والعودة إلى الأوطان بمجرد الانتهاء من العمل أو الوظيفة التي من أجلها كان السفر حتى يستقر في موطنه ويعبد الله فيه وهو في حالة الاطمئنان والراحة.

كما اعتمدت الشريعة على هذه الخاصية في بعض أساليبها التربوية حتى يتم إصلاح الخلل الذي قد يطرأ على شخصية الإنسان، ومن ذلك حكم النفي للمحارب، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

12 - سورة الروم: الآية 30.
13 - ينظر تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (4/ 336).
14 - سورة النساء: الآية 103.
15 - التحرير والتنوير، لابن عاشور، (189/5).
16 - البيهقي، سنن الكبرى، باب الاختيار في التعجيل في القفول إذا فرغ، حديث رقم 10661، (259/5).

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾[17]، وكحكم التغريب للزاني على قول من قال بذلك، وكذلك راعته فيما يخص أحكام ابن السبيل والتصدق عليه، كما نجد مسائل كثيرة في أبواب الفقه تتعلق بمراعاة الشرع لهذه الخاصية، ولذلك على التربية أن تحرر كل المفهومات المتعلقة بهذه الخاصية ومنها البلد والبلدة، والقرية والأرض بمعنى الوطن.

- ومن الأدلة على مشروعية هذا الحب أن الرسول صلى الله عليه وسلم عبّر عنه وهو يخاطب مكة عند خروجه منها فقال: (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)[18]، وقد تكرر هذا التعبير عن هذا الحب لمكة مرة أخرى عندما خاطبها الرسول صلى الله عليه وسلم عام الفتح فقال: (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ)[19]، " وإنما قاله عليه الصلاة والسلام لغلبة حبِّ الكعبة وحَرَمِ الله ومسكن آبائه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام على قلبه.

إن هذه العودة الكريمة إلى الوطن كانت وعدا من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [20]، روى ابن أبي حاتم في بيانه لسبب نزول هذه الآية "عَنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ فَبَلَغَ الْجُحْفَةَ اشْتَاقَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ الْقُرْآنَ (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) إِلَى مَكَّةَ"[21].

إن هذا التشوق إلى مكة كان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم حتى بعد توطنه للمدينة فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أُصَيْلٍ الْغِفَارِيِّ أَنَّهُ: «قَدِمَ مِنْ مَكَّةَ فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ: كَيْفَ تَرَكْتَ مَكَّةَ يَا أُصَيْلُ؟ قَالَ: تَرَكْتُهَا حِينَ ابْيَضَّتْ أَبَاطِحُهَا وَأَحْجَنَ ثمامة اَوَ أعْذَقَ إِذْخِرُهَا وَأَمْشَرَ سَلَمُهَا، فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: (تَشَوَّقْنَا يَا أُصَيْلُ)، وفي رواية: (إِيهًا يَا أَصِيلُ، لَا تُحَزِّنَا) [22]، وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ: دَعِ الْقُلُوبَ تَقَرُّ [23]، يعني: تقر بالمدينة لا تشوقهم إلى مكة [24].

- إن من الأدلة على مشروعية حب الوطن وشدة مفارقته على النفس أن النبي صلى الله عليه وسلم تحركت نفسه، وشعر بنوع من الحرقة عندما علم من ورقة بن نوفل أن قومه سيخرجونه من مكة، فَقَالَ له الرسول صلى الله عليه وسلم:(أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ)، قَالَ السُّهَيْلِيُّ في شرحه لهذا الحديث أنه فيه دليل على محبة الوطن وأن النفس يصعب عليها فراقه، وأنه تحركت نفسه عند ذكر إخراجه منه، وخاصة أنه له ميزة كونه حرم الله، وجوار ربه سبحانه وتعالى، وأنه بلد أبيه إسماعيل، فعبر باستغراب ودهشة بقوله: أو مخرجي هم؟، حيث أدخل الواو بعد ألف الاستفهام حتى تشعر المخاطب بأن هذا الاستفهام من باب الإنكار أو التفجع لكلامه والتألم منه[25].
- من الأدلة على مشروعية حب الوطن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر واقترب من المدينة وأبصر طرقها المرتفعة أو جدرانها أسرع في سيره حبًّا لها وتشوقا إليها، عن أنس بن مالك أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانَ إِذا قدم من سفر فَأبصر إِلَى درجات الْمَدِينَة أوضع نَاقَته، وَإِن كَانَت دَابَّة حركها) [26]، قال ابن حجر: "وفي الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه"[27].

17 - سورة المائدة: الآية 33.
18 - رواه الترمذي، سنن الترمذي، باب في فضل مكة، حديث رقم 3925، (5 / 722).
19 - رواه الترمذي، سنن الترمذي، باب في فضل مكة، حديث رقم 3926، (5 / 723)، قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ".
20 - سورة القصص: الآية 85.
21 - رواه ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، تفسير سورة القصص، حديث رقم 17205، (9 / 3026).
22 - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، للأزرقي، (2 / 148).
23 - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للزرقاني، (4 / 288).
24 - منتقى من أخبار الأصمعي، الربعي، (1 / 110).
25 - ينظر شرح الحديث المقتفي في مبعث النبي المصطفى، أبو شامة المقدسي، (ص163).
26 - البخاري، صحيح البخاري، أبواب العمرة، حديث رقم الحديث 1708، (2/ 638).
27 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (3/ 621).

المطلب الثالث: المبادئ التربوية التي تقوم عليها الوطنية في القرآن الكريم

بعد أن تم بيان المراد من التربية الوطنية عند أهل اللغة والاصطلاح، وتوضيح مشروعية حب الوطن في الإسلام، نورد بعض المبادئ التربوية التي تقوم عليها الوطنية من خلال ما استنبطه العلماء من الآيات القرآنية التي تناولت هذا الجانب، ومن هذه المبادئ المستنبطة ما يلي:

أولا: الأرض أرض الله ونحن مستخلفون فيها (الوطن لله والدين لله)

إن ارتباط الإنسان بالأرض التي يستوطنها ينبغي أن يتأسس على مبدأ إيماني مفاده أن الأرض ملك لله سبحانه وتعالى، أما عن ملكية الإنسان لها فهي ملكية مجازية لا حقيقية، ملكية تخوله التصرف فيها، وعليه فإن الإنسان متملك لا مالك، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[28]، وهو بحكم الاستخلاف يتحمل مسؤولية المحافظة على هذه الأرض والسعي في تعميرها، وهذه العمارة هي في الحقيقة عبادة، لذلك ينبغي أن ندرك أن انتماء الإنسان إلى الأرض هو انتماء يتأسس على عبادته لله بتعميرها الذي يتمثل في المحافظة على النظام عليها وفي تحقيق الصلاح فيها، ومن هنا تتسع دائرة الأهداف في التربية الإسلامية، فليس هدفها مجرد إعداد المواطن الصالح بالمفهوم التي تسعى إليه الفلسفات التربوية الأخرى، إذ ينبغي أن يكون المواطن صالحا في وطنه وليس بالضرورة أن يكون صالحا في غيره من بقاع الأرض، بينما الهدف في التربية الإسلامية هو إعداد العبد الصالح، وهذا يعني أن يكون صالحا في أي بقعة حل أو استوطن فيها. من هنا ندرك خطأ ذلك الشعار الذي يردده أنصار العلمانية في قولهم: (الدين لله والوطن للجميع)، والصحيح هو أن الدين لله والوطن لله، والأرض والكون كله لله.

إن من أخطر الأمور أن تكون الوطنية مجرد شعار يُستغل من قبل أصحاب المآرب الشخصية، للسيطرة على أتباعهم من المستضعفين، أو أن يستغل من قبل أصحاب الدعوات الباطلة، أو من الحكام المستبدين، كما فعل فرعون عليه اللعنة عندما أراد أن يستغل هذه العاطفة في صد الناس عن اتباع موسى عليه السلام بعد أن أظهر الله صدق دعوته وإيمان السحرة به، قال تعالى مخبرا عن ذلك : ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾[29]، يقول أبو السعود رحمه الله في تفسيره: إن هاتين الشبهتين قد ألقاهما إلى أسماع عوام القبط، حيث إن مشاهدتهم لارتفاع أعلام المعجزة ورؤيتهم لخضوع السحرة لها، وعدم قدرتهم على مقاومة الإيمان بها، قد جعلتهم يترددون في الإيمان بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام. وقد أظهروا أن إيمان السحرة مبني على اتفاق بينهم وبين موسى، وأن هدفهم من ذلك هو إخراج القوم من المدينة وإبطال ملكهم. ومن المعروف أن مغادرة الأوطان المألوفة والنعمة المعروفة أمرٌ لا يُحتمل. لذا، فقد جمع هذا اللعين بين الشبهتين لتثبيت القبط على موقفهم، وتحريضهم على العداء لموسى عليه الصلاة والسلام[30].

ثانيا: حب الوطن ليس مقصودا لذاته وإنما مقصده قيام الإنسان بواجب العمارة ترتبط الحكمة من تمكن حب الوطن في الفطرة الإنسانية ارتباطا وثيقا بالحكمة من خلق الإنسان، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى المذكورة في قوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[31]، وعمارة الكون المذكورة في قوله تعال: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[32]، والخلافة المذكورة في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[33]؛فالله سبحانه وتعالى قد جعل هذه الأرض ميدانا للقيام بواجب العبادة، ولولا وجود هذه العاطفة في الإنسان لما سعى في عمارة الأرض، ولخربت الكثير من الأراضي التي تقل فيها الحاجات وتصعب فيها الحياة؛ لذلك " كان يقال: بحب الأوطان عمرت البلدان"[34]، وهذا الفضل لحب الوطن فطن له عمر رضى الله عنه عندما قال: "لولا حب الوطن لخرب بلد السوء"[35]، أي أنه لولا أن الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان مجبولا

28- سورة الأعراف: الآية128.
29- سورة الأعراف: الآية 123.
30 - ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (3 / 261).
31 - سورة الذاريات: الآيتان 56، 57.
32 - سورة هود: الآية 62.
33 - سورة البقرة: الآية 30.
34 - المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص 77.
35 - تفسير روح البيان، إسماعيل حقي، (6 / 320).

على حب الوطن الذي نشأ وترعرع فيه لهجر الناس الأراضي الوعرة والمقفرة، وأقاموا في الأراضي التي فيها كل متطلبات الحياة، مما يؤدي إلى خلو هذه الأراضي من السكان وخرابها، لكن الله لحكمة منه نوّع هذه الأراضي قطع متجاورات يختلف بعضها عن بعض، وقدّر في كل واحدة منها أقواتها، وجعل في الإنسان خاصية الانتشار في الأرض وحب الوطن الذي هو فيه ليقوم بعمارته ويحافظ عليه من الخراب.

ثالثا: الارتباط بالوطن ينبغي أن يكون قائما على أساس عبادة الله.

إنّ ارتباط الإنسان بالأرض ينبغي أن يكون ارتباطا قائما على العبودية لله، وهذا ما بيّنه قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[36]، ومن هنا ندرك أن ارتباط الإنسان بالمكان لا يكون ذا قيمة، ولا يعتبر تمكينا ولا تبوءا إن لم يحقق العبادة، ويكن معه تبوء للإيمان، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[37]، فعلى التربية الوطنية أن تسعى إلى تربية المسلم على القيم الإيمانية التي تحقق له هذا التمكن في الأرض وتحرره من قيود الارتباط بالمكان الضيق، وأن تجعل محبة الله فوق محبة المكان، ومحبة الوطن تابعة لمحبة الله، فإن تعارضت المحبتان قدمت محبة الله يقول تعالى: ﴿قل إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[38].

رابعا: المواطنة الصالحة لا تتم إلا بالإصلاح في الأرض وعدم الإفساد فيها

ومما يفيد ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل النفي عن الأوطان عقوبة لمن يفسد فيها، وحدًّا من حدود الحرابة، وهذا مما يدل على أن الذي يسعى بالفساد في وطنه لا يستحق العيش فيه، أي أن الفساد يتنافى مع الوطنية، يقول تعالى:﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾[39]، اختلف العلماء في تحديد معنى النفي إلا أن آراءهم تدل على أنه عقوبة تقتضي مفارقة للوطن، وهي المراد عند العلماء بالنفي والذي معناه لدى الحنفية هو الحبس، حيث يتضمن إبعاد الشخص عن الأرض التي يعيش فيها الناس بحرية وطمأنينة. أما التغريب، فيعتبر إضرارًا ببلد آخر، ويعرض الشخص للكفر، ويفتح له المجال للهروب إلى دار الحرب. من جهة أخرى فإن المالكية يرون أن النفي إخراج الشخص من بلده إلى بلد آخر بحيث يبعد عنه مسافة كمسافة القصر، حيث يُحتجز حتى تظهر توبته. وبالتالي، فإن رأي الجمهور حول النفي يتمثل في كونه حبسًا. بينما يعتقد الحنابلة أن النفي يعني تشريد الشخص، بحيث لا يُسمح له باللجوء إلى أي بلد [40].

خامسا: حب الوطن وثيق الصلة بحب النفس ومقترن به

بيّن القرآن الكريم ذلك حيث "جعل مفارقة الأوطان معادلة لقتل النفس"[41]، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [42]، فهذه الآية بيّنت أن خروج الإنسان من الوطن ونفيه عنه دون رغبة منه، أمر في غاية المشقة مثله مثل أن يؤمر الإنسان بقتل نفسه، لذلك لم يأمر الله سبحانه وتعالى بهما في دينه، يقول محمد رشيد رضا: "والمعنى أن الإنسان خلق ضعيفا، فلو كتبنا عليهم ما يشق احتماله كقتل الأنفس والخروج من الوطن لعصى الكثير منهم، ولم يطع إلا القليل وهم أصحاب العزائم القوية الذين يؤثرون رضوان الله على حظوظهم وشهواتهم، ولكننا لم نكتب عليه ذلك كما كتبناه على بني إسرائيل من قبلهم، بل أرسلنا خاتم رسلنا بالحنيفية السمحة التي تجمع لهم بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة"[43].

36- سورة العنكبوت: الآية 56.
37- سورة الحشر: الآية 9.
38- سورة التوبة: الآية 24.
39- سورة المائدة: الآية 33.
40 - ينظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي، (6 / 167).
41 - تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (15/ 515).
42- سورة النساء: لآية 66.
43 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (5 / 196).

كما جعل الله سبحانه وتعالى الإخراج من الأوطان قرين التعذيب، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ (44)، وفي هذه الآية ذهب البعض إلى الاستدلال على أن منزلة النفي من الدِّيار كمنزلة القتل (45).

ولشدة هذا الأمر على الإنسان فإن الأنبياء قد هددوا بالإخراج من الأوطان، وهو أمر أشد من القتل، إلا أن الله بشرهم بالتمكين في الوطن، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾ (46)، فالأعداء عندما يعجزون عن معارضة الأنبياء فإنهم يلجؤون إلى أسلوب التهديد والإنذار والطرد من الأوطان والتشريد في البلدان (47).

هذا وقد جعل الإسلام إخراج الإنسان من وطنه بغير وجه حق من المحرمات الشرعية وجعله قرين لجريمة القتل، قال تعالى مخاطبا بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(48).

سادسا: مفارقة الأوطان المألوفة من أشد البلاء على الإنسان حيث وصفه بالفتنة

بيّن القرآن الكريم ذلك من خلال تعبيره بجعل منزلة الإخراج من الأوطان والتغريب بمنزلة الفتن الشديدة التي تجبر البعض على تمني الموت؛ يقول تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (49) ومن وجوه التفسير الواردة في معنى الفتنة أنها تعني الإخراج من الوطن والنفي منه؛ ولما له أثر بالغ في مفارقة كل ما هو مألوف ومحبوب، والذي يؤدي إلى تنغيص العيش غالبا (50).

سابعا: الإخراج من الأوطان من الأمور التي تستوجب العداوة

حيث جعله الله سبحانه وتعالى مقرونا بالقتال في الدين، يقول تعالى:﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(51)، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة"(52).

المطلب الرابع: التطبيقات العملية لمبادئ التربية الوطنية.

بعد أن تم بيان أن حب الوطن من الفطرة والاستدلال على مشروعيته، والتأصيل لمبادئ التربية الوطنية من القرآن الكريم، ينبغي لنا أن نبيّن بعض الضوابط الشرعية والتطبيقات العملية لهذا الحب، حتى لا يخرج هذا الحب عن الفطرة، فيصبح ذريعة لاتباع الأهواء والشهوات، فعلى كل مسلم ألا ينخدع بالمفاهيم التي يسوق لها الغرب وأتباعه، وأن يضبط حبه لوطنه بما جاء به دينه، وبذلك تكون السيطرة التامة على القوة النفسية وتوجيهها للخير، وفيما يلي بيان لبعض هذه الضوابط:

أولا: ألَّا يُقدَّمَ حب الوطن على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

إن محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن تكون مقدمة على كل محبة، وهذا مما يحقق حلاوة الإيمان، يقول صلى الله عليه وسلم: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي

44- سورة الحشر: الآية 3.
45 - ينظر تفسير القرآن، للسمعاني، (5/ 397).
46- سورة إبراهيم: الآيتان 13، 14.
47 - لطائف الإشارات، للقشيري، (2 / 244).
48- سورة البقرة: الآيتان 84، 85.
49- سورة النساء: الآية 66.
50 - ينظر البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، (2/ 244).
51- سورة الممتحنة: الآيتان 8، 9.
52 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي 856.

النَّارِ)[53]، هذا وقد توعد الله سبحانه وتعالى كل من يقدم حب غيره على حبه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[54]، ذكر ابن عجيبة أن المحبة هنا هي اختيارية، لا المحبة الطبيعة التي لا تخضع للتكليف، لذا فإن التحفظ عنها غير ضروري. فحب الأوطان والعشائر هو شعور فطري، بينما الحب الذي يُكلف به هو اختيار. يتطلب الأمر جهاد النفس لتبديل الحب الفطري بالحب الاختياري. ثم جاء التهديد لمن يناصر حب الأوطان بقوله: (وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ)، مما يعني أنه لا يرشدهم ولا يوفقهم. وهذا التهديد في الآية عظيم، وقليلون من يتجنبونه. [55]

ثانيا: ألا يكون حب الوطن سببا في ضياع الدين وعدم القيام به

إن حب الدين مقدم على حب الوطن، وهذا ظاهر بيّن، ومن الأمور التي أكدها القرآن، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[56]، وفي هذه الآية إشارة ودليل على أن العبد المؤمن يجب عليه مغادرة موطنه الأصلي الذي لا يعبد الله فيه بحجة الخوف على المال والأهل، ويهاجر إلى بلد يمكنه فيه عبادة ربه وإظهار شعائر دينه.

كما أنه في المقابل علينا أن ندرك أن الاغتراب عن الأوطان لغير ضرورة، والتخلي عن أداء الواجبات الشرعية المتعلقة بها، كالدفاع عن الأرض والوطن مخافة الموت يعد من الأمور المذمومة، يقول سبحانه وتعالى في ذم من ترك وطنه متخليا عن الجهاد في سبيل الله مخافة الموت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[57]، يقول البقاعي رحمه الله في بيان مناسبة هذه الآية بما قبلها أنه نظرًا لأن مغادرة الأوطان تُعتبر أمرًا صعبًا وشاقا على النفس، فقد أشار إلى ذلك ليبرز عظمة ما واجههم، فقال: "إلى الذين خرجوا"، أي من الأمم التي سبقتكم، "من ديارهم" التي اعتادوا عليها والتي تعبوا كثيرًا حتى استقروا فيها، وذلك بسبب ما حدث فيها من أحداث عظام لا قدرة لهم على تحملها والصبر عليها مع كونهم "وهم ألوف"، أي عددهم كبير جدًا يتجاوز العشرة، كما يُفهم من صيغة الجمع[58].

ثالثا: حب الوطن لا ينبغي أن يكون ذريعة وسببا في عدم القيام بالواجبات الشرعية

فبعض الناس قد يثنيه حبه لوطنه عن الإتيان بالواجب فتجده لا يقوم بالواجبات الشرعية التي قد تستدعي الابتعاد عن الوطن كالحج مثلا بحجة أنه لا يقوى على مفارقة وطنه، لذلك عملت الشريعة على سد هذه الذريعة، ثبت أنه صلى الله عليه وسلم دعا لصحابته رضوان الله عليهم بثباتهم على هجرتهم إلى المدينة وذلك بعد فتح مكة، وذلك خوفا من أن يتذرع أحدهم بالمرض فيبقى في مكة ولا يرجع إلى المدينة ، فقال أثناء عيادته لأحد صحابته وهو في مكة:(اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلاَ تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ)[59]، "قال ابن عبد البر: فيه سد الذريعة، لأن قوله ذلك لئلا يتذرع بالمرض أحد لأجل حب الوطن"[60].

هذا وقد عالج الإسلام مشكلة غلبة حب الأوطان وسيطرتها على النفس حتى لا يكون حب الوطن ذريعة، وذلك عن طريق تذكيرهم بأن المفارقة حاصلة لا محال بالموت، فعليهم أن يؤثروا الدار الباقية على الدار الفانية ووطن الخلود على وطن الفناء قال تعالى:﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ

53 - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ حلاوة الإيمان، حديث رقم 16، (1/ 14).
54- سورة التوبة: الآية 24.
55 - ينظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، (2/ 368).
56- سورة النساء: الآيات 97-100.
57- سورة البقرة: الآية 243.
58 - ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (1/ 463).
59 - البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 3720، (3 / 431).
60 - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للزرقاني، (4/ 82)، وبمثله قال ابن حجر فيفتح الباري شرح صحيح البخاري، (5/ 368).

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[61]، جاء في ذكر سبب نزول هذه الآية أنه "لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الأوطان ومفارقة الإخوان، فقال لهم إنّ ما تكرهون لا بد من وقوعه فإن كل نفس ذائقة الموت، والموت مفرق الأحباب، فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه، فإن إلى الله مرجعكم"[62].

لذلك نجد أن الحكمة من نهي الله سبحانه للوط عليه السلام ومن كان معه عن أن يلتفتوا خلفهم أثناء خروجهم من بلدهم في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [63]، هي ألا يشعروا بالحنين للوطن فيكون حبهم له مانعا لهم عن القيام بهجرتهم.

رابعا الاعتدال في حب الوطن وعدم المغالاة فيه وعدم التعصب له

وذلك لأن الإسلام دين وسطية واعتدال، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[64]، فمن وجوه التفسير لمعنى الوسط في هذه الآية ما نقله الماوردي رحمه الله عندما قال: أن الوسط من التوسط في الأمور، فالمسلمون تَوَسَّطُوا في الدين، فليسوا من أهل غلوٍّ فيه ولا تقصير، وأن من معانيه أيضا العدل؛ لأن العدل وسط بين الزيادة في الشيء والنقصان منه أو فيه[65]، وهذه الوسطية مطلوبة في كل شيء حتى في المشاعر، يقول صلى الله عليه وسلم : (أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا)[66]، وعليه ينبغي التوسط في حب الوطن فلا إفراط ولا تفريط، ولا ينبغي تقديس الوطن إلى درجة التأليه، فقد وصل الأمر ببعض الشعراء إلى تمجيد الوطن إلى درجة وصفه بالألوهية والعياذ بالله، وهذا أمر ينبغي الحذر منه.

إن الوطنية لا تعني أن يتعصب الإنسان إلى بلده ويزدري البلدان الأخرى، وهو أمر ظاهر وشائع في عالمنا اليوم، مما يمكن أن نسميه بالعصبية الوطنية، ويبدو أن نظرة الازدراء لبعض البلدان قائمة على نوع من التقييم متعلق بمن يقطن هذا البلد وهي القيمة الاجتماعية للتراب، وهذه القيمة أشار إليه مالك بن نبي عندما قال: " وهذه القيمة الاجتماعية للتراب مستمدة من قيمة مالكيه فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط"[67]، وهذا الكلام لمالك بن نبي يبيّن فيه واقع الحال، ولكن على المسلم أن ينظر بمنظار واحد وهو أن الأرض لله، وأن عليه احترام أرض الله.

الخاتمة

في ختام هذه الورقة نورد أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، وهي فيما يلي:

النتائج

- الوطنية تعني حب الوطن والشعور بالانتماء إليه تجسيد هذا الحب في سلوك قويم بحيث يكون الإنسان مصلحا في الأرض لا مفسدا فيها.
- حب الوطن مأذون به شرعا ولا يتنافى مع الشريعة الإسلامية، فقد جاءت الكثير من الأدلة على مشروعيته.
- تتأسس التربية الوطنية في الإسلام على مجموعة من المبادئ الإيمانية، تربي المسلم على أن يحترم الأرض التي يقطنها ويحافظ على صلاحها وانتظام أمرها.
- حب الوطن في الإسلام منضبط بضوابط شرعية تعد في مجموعها تطبيقاتها عملية لمبادئ التربية الوطنية الإسلامية.

61 - سورة العنكبوت: الآيتان 56، 57.
62 - مفاتيح الغيب، الرازي، (25/ 70).
63 - سورة الحجر: الآية 65.
64 - سورة البقرة: من الآية 143.
65 - ينظر تفسير النكت والعيون، للماوردي، (1 / 198).
66 - الترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاقْتِصَادِ فِي الحُبِّ وَالبُغْضِ، حديث رقم 1997، (4 / 360).
67 - شروط النهضة، مالك بن نبي، ص 131.

التوصيات

- العناية بموضوع الوطنية فهو من الموضوعات الأصيلة في الدعوة الإسلامية، فعلى الدعاة والمربين معرفة هذه المبادئ والعمل على تربي الناس عليها.
- على الدعاة السعي إلى التصدي للفلسفات الغربية التي تدعو إلى تربية وطنية تتماشى معها، حتى يتسنى لهم الحد من تغريب الأمة ومسخ هويتها.
- إعادة النظر في مناهج التربية الوطنية في التعليم بكافة مراحله، والعمل على أن تتأسس هذه المناهج على أسس إسلامية تضمن للناشئة السلامة من التأثر بالمفاهيم الخاطئة التي يسوق لها أعداء الإسلام والمسلمين.

المراجع

1. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379ه.
2. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (تفسير الماوردى) النكت والعيون، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ت: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
3. أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، الناشر: دار الفكر، الطبعة: 1399هـ - 1979م، ت: عبد السلام محمد هارون.
4. أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، سنة الوفاة502ه، الناشر دار المعرفة - لبنان، ت: محمد سيد كيلاني.
5. أبو شامة المقدسي، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي، شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، دار النشر: مكتبة العمرين العلمية - الشارقة / الإمارات، 1420 هـ / 1999م، الطبعة: الأولى، ت: جمال عزون.
6. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، دراسة وتحقيق: علي عمر
7. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
8. الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، سنة الطبع: 1415هـ، ت: على عبد الباري عطية.
9. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، القرن: الثالث عشر، الدكتور: حسن عباس زكى، مكان الطبع: القاهرة. سنة الطبع: 1419ه -
10. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
11. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ - 1995 م، ت: عبد الرزاق غالب المهدي.
12. ابن عطية الأندلسي، الإمام الحافظ أبو بكر غالب، المحرر الوجيز، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، سنة الطبع: 1422 ه، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد.
13. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة، المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى ،1344ه. ت: أحمد عبد الله قرشي رسلا.
14. التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس – 1997.
15. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون.

16. تفسير ابن أبى حاتم، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية صيدا، ت: أسعد محمد الطيب.
17. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، القرن: الثامن، دار الفكر - بيروت، سنة الطبع: 1420 هـ، ت: صدقي محمد جميل.
18. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990.
19. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد، دار النشر: مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر، الطبعة: الثانية، 1415هـ - 1994م.
20. حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، دار النشر: دار إحياء التراث العربي.
21. الرازي، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
22. الربعي، القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد الربعي، منتقى من أخبار الأصمعي، ت: محمد مطيع الحافظ، الناشر: دار طلاس، الطبعة: الأولى 1987م.
23. الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط2، 1418ه.
24. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك/ متوفى سنة 1122ه،
25. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة، ط الأولى، 1420ه.
26. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تفسير القرآن، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن بالرياض، 1418ه.
27. القشيري، عبد الكريم بن هوازن القشيري لطائف الإشارات، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكان الطبع: مصر، ت: إبراهيم بسيوني.
28. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، 1419هـ - 1998م، ت: عدنان درويش - محمد المصري.
29. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.
30. مالك بني نبي، شروط النهضة، الناشر: دار الفكر، دمشق - سورية، 1986م.